مجلة التربية للعلوم الانسانية

مجلة علمية فصلية محكّمة، تصدر عن كلية التربية للعلوم الإنسانية / جامعة الموصل

الأبعاد المعرفية الاجتماعية في الشعر الجاهلي

شعراء الطبقة الأولى–انموذجا

رسل صالح [1] نصرت صالح [2]

كلية التربية للعلوم الإنسانية/ جامعة الموصل / الموصل – العراق [1، 2]

معلومات الارشفة

تاريخ الاستلام : 2024/9/22

تاريخ المراجعة : 2024/10/8

تاريخ القبول : 2024/10/9

تاريخ النشر : 2025/11/20

الكلمات المفتاحية :

الشعر الجاهلي، الابعاد المعرفية الاجتماعية، شعراء الطبقة الأولى

معلومات الاتصال

رسل صالح

rusul.20arp204@student.uomosul.edu.iq

الملخص

الشعر الجاهلي هو المرتع الخصب للمعارف الاجتماعية، فالشاعر الجاهلي كان الراوي والمؤلف في وقت واحد ،وشعره نتاج جماعي تتمثل فيه تقاليد الجماعة التي نشأ فيها، فجاء شعره ناضجا مكتملا معتمدا على موروث شعري ضخم يعبر عن حياة حافلة بالتراث والمعارف الاجتماعية . إن البعد المعرفي في الشعر الجاهلي يتمثل في شحن النص الشعري بالمعارف الاجتماعية، امتلك المجتمع العربي منذ الجاهلية إلى يومنا هذا ابعادا معرفية اجتماعية مثلت الاساس في حياة العربي مثل الحق، والخير، والشجاعة، واغاثة الملهوف، وحماية الجار تلك الابعاد المعرفية الأخلاقية التي عندما جاء الاسلام لم ينقص منها بل أكدها وعززها وأضاف اليها.

لقد نبّه الدارسون كما سيتبين في هذا البحث إلى أنّه قد ساد النظام القبلي حياة العرب في جاهليتهم ولم تتوفر سلطة مركزية قوية ينظوي الجميع تحت لوائها، وانفردت كل قبيلة بفرديتها على وفق نظام خاص يحكمها، وعرفت القبلية أن الايمان بالوحدة امراً مقدساً ويترتب عليه جملة من العادات والتقاليد الاجتماعية كانت بمثابة دستور ينظم سياستها ويحدد ما على أفرادها من واجبات وما لهم من حقوق، فالقبيلة كانت تمثل النسق والسلطة السائدة وكان خير ما يمثل هذه العادات ويترجمها هو الشعر الجاهلي.

شكّل شعراء الطبقة الاولى عند ابن سلام ظاهرة مميزة في الادب الجاهلي ، كانت لهم مكانة بارزة من خلال آراء النقاد والدارسين لطبيعة ابداعهم، إذ احتفت كتب الادب وتاريخه بسيرهم وابداعاتهم على النحو الذي يجعل من اختيارهم عينة للدراسة اختيارا يمكن أن يعطي تصورا جيدا لطبيعة الجانب المعرفي الاجتماعي في الادب الجاهلي ولا سيما أنهم شعراء عكسوا إلى حدّ بعيد المعطيات المعرفية والقيمية للعصر الذي عاشوا فيه، وهذا ما سنحاول تسليط الضوء عليه في هذه الدراسة

DOI: **********,, ©Authors, 2025, College of Education for Humanities University of Mosul.
This is an open access article under the CC BY 4.0 license (http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/).

Journal of Education for Humanities

A peer-reviewed quarterly scientific journal issued by College of Education for Humanities / University of Mosul

Social cognitive dimensions of first-class poets

Rusul Saleh [1] **Nusrat Saleh** [2]

College of Education for Humanities/University of Mosul / Mosul - Iraq [1,2]

Article information

Received : 22/9/2024
Revised 8/10/2024
Accepted : 9/10/2024
Published 20/11/2025

Keywords:

Pre-Islamic poetry، social cognitive dimensions، first-class poets

Correspondence:
Rusul Saleh
rusul.20arp204@student.uomosul.edu.iq

Abstract

The Arab society from the pre-Islamic era to the present day has possessed cognitive dimensions that represented the basis of the Arab's life، such as truth، goodness، courage، helping the distressed، and protecting the neighbor. These are the cognitive and moral dimensions that Islam did not diminish when it came، but rather confirmed، strengthened، and added to them. As will be shown in this research، scholars have pointed out that the tribal system prevailed in the lives of the Arabs in their pre-Islamic era، and there was no strong central government under whose banner everyone could gather. Each tribe was unique in its individuality according to a special system that governed it. Tribalism knew the belief in unity as a sacred matter، and a set of social customs and traditions were based on it، which were like a constitution that organized its policy and determined the duties of its members and the rights they had. The tribe represented the prevailing system and authority، and the best thing that represented and translated these customs was pre-Islamic poetry. These four poets constituted a distinctive phenomenon in pre-Islamic literature that certainly does not negate others، but they have a prominent position through the opinions of critics and scholars in the nature of their creativity، as books of literature and its history celebrated their biographies and creativity in a way that makes their selection as a sample for study a selection that can give a

good idea of the nature of the social cognitive aspect in pre-Islamic literature، especially since they are poets who reflected to a large extent the cognitive and value-based data of the era in which they lived، and this is what we will try to shed light on in this study.

DOI: **********,, ©Authors, 2025, College of Education for Humanities University of Mosul.
This is an open access article under the CC BY 4.0 license (http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/).

المدخل التنظيري

تسعى كل المجتمعات في دورة حياتها إلى بناء نفسها على وفق ما تستطيع لتُجاري روح العصر الذي تنشأ فيه، والدارس للشعر الجاهلي من جهة الكم المعرفي الذي حازه يجد أن العربي في بيئته القاسية على الرغم من صعوبة حياته، كان يفكر ويوظف مجموعة من المعارف سواء أكانت العلمية أم القيمية ليجعل منها نظاما يتناسب مع طبيعة حياته ولكن هذه القيم والمعارف كانت محصورة في حدود حاجته إليها، لذا فقد حاول العربي تسخير معارفه وقيمه ليستفيد منها في حياته وذلك في حدود قدرته وانطلاقا مما تمليه عليه بيئته من احتياجات، سواء أكان ذلك على المستوى الديني أم على المستوى القيمي، إذا كان الشعر يمثل قيمة كبرى لدى المجتمع الجاهلي تتمثل في مجموعة القيم الإنسانية التي عبر عنها الشاعر في تضاعيف قصائده، والخطيب في خطبه وأقواله المنثورة والمأثورة، فالمجتمع في العصر الجاهلي مثل غيره من المجتمعات؛ ضم عددا من المصلحين شعراء وخطباء، وطائفة من العلماء والحكماء ورجال الدين، سعوا بأقوالهم وأفعالهم إلى غرس مجموعة من القيم الإنسانية العليا المتنوعة في نفوس المجتمع، وأخذوا على عاتقهم تغيير المجتمع إلى الأفضل الذي ينشدونه، وكان من أبرز تلك القيم الإنسانية التي سعوا إلى غرسها في النفوس القيم الاجتماعية، إحدى القيم الإنسانية المهمة التي تعد بالنسبة لأي مجتمع أعمدة البناء التي تحمله وتحميه من الانهيار؛ ذلك لأن المجتمع يحتاج لبناء حضارته ورُقيه ونمائه مجموعة من القيم الاجتماعية المحمودة التي تُغرس في نفوس أفراده. إن المعطى الاجتماعي للحياة الجاهلية يتمثل في مجموعة من القيم والعادات والسلوكيات التي تتضمن السلوكيات الإيجابية وتعد طائفة الشعراء من أبرز هؤلاء المصلحين وأكثرهم صوتا مسموعا ومؤثرا في نفوس أفراد المجتمع، ولقد كان في الشعر الجاهلي التزام كبير نابع من الالتزام القبلي الذي تفرضه القبيلة على الشاعر وعليه أن يلتزم بالقيم الاجتماعية للقبيلة، وتعد هذه القيم من اسباب وجود الشعر وهذا ما أكده ابن رشيق بقوله:((وكان الكلام كله منثورا، فاحتاجت العرب إلى الغناء بمكارم أخلاقها، وطيب اعراقها، وذكر أيامها الصالحة، واوطانها النازحة، وفرسانها الانجاد، وسمائحها الأجواد، لتهز انفسها إلى الكرم، وتدل ابناءها على حسن الشيم، فتوهموا اعاريض جعلوها موازين الكلام)) (القيرواني، 1988، 74) وهذا يدل على ارتباط الشعر عند العرب بالقيم الاخلاقية الاجتماعية للمجتمع العربي ولم يكن شعراء الطبقة الأولى الذين انتشر شعرهم في الجزيرة العربية بمنأى عن ذلك المجتمع فقد كانوا

مدركين لهذا الارتباط بحكمتهم وقيمهم الإنسانية والاجتماعية التي اقتبسوها من حياتهم في بناء مجتمعهم. إذ إن ابرز ما يميز شخصية العربي هو التمسك بالمثل العليا، والقيم الاجتماعية التي كانوا يتحلون بها، وسنعرض في هذا البحث بعض هذه المعارف التي شكّلت خصالا وُسِمت بها شخصية الانسان العربي وتجلت في الشعر الجاهلي ولا سيما عند شعراء الطبقة الاولى، وأول هذه الخصال هي حق الجوار:

أولاً: حق الجوار

ورد عند ابن منظور: ((الجوار: المجاورة والجار الذي يجاورك وجاور الرجل مجاورة وجواراً، والكسر أفصح والجار هو الذي يجاورك بيت البيت .والجار :الحليف، والجار الناصر)) (ابن منظور، 1414هـ) قالﷻ (والجار ذي القربى والجار الجنب) (النساء، 36) فالجار ذو القربى له حرمة جوار القرابة، والجار الجنب أن لا يكون له مناسباً فيجيء إليه ويسأله أن يجيره أي يمنعه فينزل معه، فهذا الجار الجنب له حرمة نزوله في جواره ومنعته وركونه إلى أمانه وعهده واستجاره: سأله أن يجير. وفي تاج العروس ايضا الجار ((زوج المرأة، لأنه يجيرها ويمنعها ولا يعتدي عليها. وهي جارَته؛ لأنه مؤتمن عليها.)) (مرتضى، د.ت، 478) والجار ((هو المجاور في السكن، الجار المستجير، والجار المجار)) (almaany.com) ويقال ((استجار بفلان: استغاث به والتجأ إليه. واستجار فلانا: سأله أن يؤمنه ويحفظه والجوار: العهد والامان)) (مجموعة مؤلفين، 2006) والجار:هو الذي أجرته من أن يظلمه ظالم، ويظهر من المعنى اللغوي للجوار؛ أنه يعنى الحماية والنصر من القوي القادر للضعيف والغريب وبهذا المعنى يتكون طرفا القضية .أولا :المجير :الذي يطلب الضعيف أو الغريب حمايته، ثانيا :المستجير: الذي يطلب الحماية ويرغب في إضفاء الجوار عليه (مصطفى، 2005، 125) وحسن الجوار من العادات والاخلاق السائدة في الجاهلية، وعلاقة نبيلة وطيبة كانوا يتباهون بها ويحافظون عليها ويشيدون بها ويقدسونها (مكي، 1991، 143).

وتعد قيمة الجوار من القيم التي تصدرت قائمة أوصاف الممدوح عند العربي؛ فلا يكون الممدوح سيدا أو أميراً أو ملكاً، إلا وإجارته لجاره وصون عرضه ونجدته للملهوف وبذل العطاء له بنفس طيبة راضية، فهذه القيمة الإنسانية هي من أهم القيم الاجتماعية واقواها التي تميز بها الجاهلي وحافظ عليها وكانت العرب ترى ذلك دينا تدعو إليه، وحقا واجبا تحافظ عليه، إذ هي الملاذ الحقيقي له للتعايش في ظروف بيئته التي يتغلب فيها قانون البقاء للأقوى؛ فطبيعة حياتهم الجاهلية تتطلب الإجارة، حيث يتغلب فيها القوي الظالم على الضعيف، فيضطر حينها الضعيف إلى طلب الإجارة من القوي العادل للدفاع عنه والمحافظة على نفسه وماله وعرضه بهذا الجوار في بيئته الصحراوية، أو بيئته القتالية(مكي، 1991، 125-126).

إنّ شعراء الطبقة الاولى يتفقون على اكرام الجار ويهجون من لا يتفقد جاره ولا سيما النساء، وعدم إغاثة الجار يعدُ منقصة في حق المضيف، إذ صور الجار في ظل قوم بني عامر وقد بدت عليهم اثار النعمة

والشبع، ولقيمة هذه الفضيلة وعظمتها في حياة العرب، أوصى الشعراء ابناءهم بالمحافظة على عفتها وتعظيم حرمتها، والمحافظة على شرفها بحيث تبقى مصونة، بعيدة عن الاعتداء عليها، فجاء شعرهم يحكي سموهم عن الجار.

ويقول زهير في الجار (قباوة، 1980، 140):

وجارٍ سارَ مُعتمِدًا إليكم أَجاءتَهُ المَخافةُ والرجَّاءُ

فجاوَرَ مُكرمًا حتَّى إذا ما دَعاهُ الضيَّفُ وانقَطعَ الشّتِاءُ

قوله أجاءته المخافة والرجاء إي صيره إليكم مخافته من غيركم ورجاؤه فيكم فجاوره مكرمًا مدة اقامته زمن الشتاء عندكم، فلما اقبل الصيف وطاب الزمان وانقطع الشتاء رحل عنكم. وكانوا يتجاورون في الشتاء لشدة الزمان وعدم الخصب وكثرة غارة بعضهم على بعض فإذا اقبل الصيف رجع كل جار إلى اهله، لان الرجل انما كان يجاور مادام الكلأ فاذا انقطع الشتاء وعدم الكلأ رجع إلى اهله.

إن بعض القبائل العربية قد عرفت بحسن الجوار، ويمكن للمتلقي أن يرى الصورة الإبداعية، ويجعل الشاعر المتلقي ينتقل من خلال تلك الأبيات إلى معرفة المعاني البعيدة التي يشير إليها مثل قلة الكلأ وانتشار الصراعات في الشتاء ،والشاعر إذ يوظف لفظ (أجاءته) فإنه يدل على ما اراد بيانه لما يحمله من دلالة الاضطرار واللجوء فعبقريته ((تبقى وقفا على براعته في تصريف الالفاظ وحسن تنسيقها ذلك لأنَّ اللفظة هي المادة الأولى في بنية القصيدة الشعرية)) (محمود، 1990).

فطلب الجوار كما يرى المتلقي من خلال الأبيات من المعارف الاجتماعية والاخلاقية التي تمسك بها الشاعر وخلدها في شعره . فالاسلوب الخبري جسد الواقع الاجتماعي لابراز الصورة الرائعة لعلاقة الجوار في المجتمع العربي، وتصوير مكانته في نفوسهم.

وكذلك قول زهير بن ابي سلمى حين يكف الأذى عن جاره (قباوة، 1980، 284)

وكَفِي عن أَذَى الجِيرانِ نَفْسِي وإعلاني لِمنَ يَبغِي عِلانِي.

ان الشاعر زهير في تلك الأبيات يوضح إنه يؤدب نفسه ويبعدها عن الاعتداء على الجيران وكف الأذى عنهم، هذه الأبيات تجعل المتلقي يرى في كف الأذى علو عن الأخلاق الحميدة، وهو من سمات القبائل العربية وأخلاقها الحميدة.

فقد كان الشاعر هنا مع السلوكيات الحميدة والتي يُعد حق الجوار من أهمها.

ومن شواهد النابغة في الجوار (محمد، 2009، 101):

لا يُبْعِدُ اللهُ جيراناً تركتُهمُ مثلَ المَصابِيحِ تَجْلُو ليلةَ الظُّلمِ.

إن النابغة يتذكر جيرانه ومن أخلاق هؤلاء الجيران جودهم وكرمهم فهو لا ينسى ذلك منهم، فإن صورهم تُرسم في الليل ويتذكرهم وكأنهم نجوم تجلو ظلمة الليل، لاسيما أن التشبيه يترك أثراً عميقاً في نفس المتلقي ذلك أنَّه ((وصف الكلام بحسن الدلالة وتمامها فيما له كانت دلالة، ثم تبرجها في صورة هي أبهى و أزين و آنق و أعجب و أحق بأن تستولي على هوى النفس)) (الجرجاني، د.ت، 43)، فالمتلقي عبر مجسات التشبيه يرى العديد من المعاني ومنها ذكر أخلاقهم، ويرى سيرهم معه في ظلمة الليل، ويدعو الله الا يبعد عنه جيرانا أعزاء على قلبه.

وكذلك قول النابغة (محمد، 2009، 69):

وذلك مِن قولٍ أتاكَ أقولهُ ومِن دَسّ أعدائِي إليكَ المآبِرَا

فآليتُ لا آتِيكَ إن جئتُ مُجرِمًا ولا أَبتَغِي جاراً سواكَ مُجاوِرَا

فأهلِي فداءٌ لأمرىءٍ ،إن أتيتُه تَقبَّل مَعْرُوفِي وسَدَّ المفاقِرَا

سأَكْعمُ كَلبِي أن يَرِيبكَ نَبحهُ وإن كنتُ أَرعَى مُسحَلانَ فحامِرَا

وحَلتْ بُيوتِي في يَفاعٍ مُمنَّعٍ تَخالُ به راعَى الحَمُولِة طائِرا

إن رؤية الشاعر هنا فيها ادماج للآفاق إذ إن النابغة قد دمج العديد من الصور الشعرية في الأبيات من الحديث عن إكرام الضيف والجوار، كما يشير إلى أخلاقه في معاملة الجار وأخلاق جاره في التعامل معه، ويشير إلى كف الأذى عن الجار ومن ينزل عليه من الضيوف ولا يهجو أحدا ممن استجار به أو جاوره.

وقوله (وذلك من قول أتاك) ولم يجب أنه قاله؛ ولو أوجب ذاك لم يكن لاعتذاره معنى، وإنما يريد النمائم.

وفي هذه الابيات ينتقد الشاعر العديد من الطباع السيئة في المجتمع ويحذر منها، الا أنه من ناحية اخرى يدعو إلى الكثير من القيم والخصال الطيبة لتقوية العلاقات بين افراد القبيلة الواحدة، وحسن تسيير الامور ولو كان في حال الغياب، وحسن المعاملة هي وحدها الكفيلة بذلك، ان القيم الاخلاقية ترتبط بتحقيقها، فالفعل الاخلاقي يكون خيرا اذا حقق قيمة ايجابية وقيمة عليا، وتحققها لا يغير شيئا من وجودها، وليحقق الشاعر القيمة الاخلاقية، فانه يصير فاعلا اخلاقيا بنقل الفكرة التي تتمثل في خاطره إلى الواقع المحسوس وأن ذلك يتم في تجربته العاطفية والتي فيها ندرك سمو القيم الإنسانية (بدوي، 1984، 42). إن المعرفة تهدف دائما إلى الفعل أي بناء الوجود الانساني؛ لأنها تمثل نوعاً من السلوك المتكيف الاجتماعي والتاريخي، وفي تحليل هذه الابيات نجد أنه استخدم الرمز الاجتماعي كمعطى للمتلقي وتأويله تأويلات بعيدة فحسن الجوار ظاهرة جماعية

وليست فردية تعبر عن النماذج العليا الراسخة في الشعور الجمعي، وهي تجربة فنية قائمة على التكرار لدى جميع الشعراء لتعبر عن طقس قائم على التذكر الذي هو فريضة مهمة لا يستطيع ان يفرط بها اي شاعر.

فالشاعر هنا وصف حاله وحال الجار وهو تعبير كنائي ملتصق بالعربي، إذ إن وجود القيم وجود واقعي ويؤكد روسو على القيم الاجتماعية من احترام الآخر ومشاركته شعوره ولا فرق بين غني وفقير (روسو، 1967، 88). أن الشاعر هنا يطرح قضايا الواقع المعاش وما يخالج افكاره من مشاكل الحياة وما يصادفه فيها من تغيرات، فيلجأ إلى الشعر للتعبير عنها، فهو يتأسف على بعض الامور المتعلقة بالمعارف والقيم الاجتماعية وينتقد السلبية منها في ذلك العصر. وشعور الذات الحقيقي لا يكون إلاّ من خلال التفاعل مع الاخرين؛ لأن الآخرين يمثلون أساسا عناصر أصيلة تقتضيها فكرة الوجود البشري مثلما تقتضي وجود العالم من حولنا، فالوجود البشري أساس الوجود الجماعي، وبناء على ذلك فالذات تحقق وجودها بالتفاعل والانغماس في المجتمع. ان الشاعر ينطلق من منطلقاته الانسانية في التعبير عن قناعاته ورؤيته للحياة كونه انسانا واقعيا، تؤثر فيه البيئة بكل قوانينها، ويبحث عن القيم الاجتماعية التي تحكم علاقته بالغير فهو يدرك أن ذاته لا تكتمل الا بوجود الآخر فـ((العلاقة بالغير او الاخرين علاقة جوهرية من علاقات وجودنا الانساني، فالآخر هو أحد ابعاد الذات التي لا تكتمل إلاّ به)) (حيدر، 1994، 172).

إن احساسه الانساني بوصفه جزءاً من القبيلة في المجتمع جعله مقدرا للقيم الاجتماعية ومخلدا لها في شعره لتثبيت تلك القيم في المجتمع، لذلك نجد حق الجوار احد المعارف والقيم الانسانية والاجتماعية التي رافقت الانسان العربي وارتبطت به فالبيئة الطبيعية التي احتضنت الجاهلي، صحراوية قاسية يسودها الجدب والحاجة والتنقل من أجل الكلأ والماء ومن جهة اخرى أدى إلى انقسام المجتمع القبلي الجاهلي إلى طبقتين الاغنياء وهم القلة، والفقراء وهم كثرة (علي، 1968، 82-83). يريد الشاعر من خلال النص دعم وجهة نظره وايصالها للمتلقين لاستيعاب دفاعه عن تلك القيم، فالقيم الانسانية تكمن في الذات وتتطلب الاستعانة بالمعرفة التي تتعلق بالحقائق الموجودة في العالم الخارجي، لكي نتوصل إلى فهم اكثر كمالا مع الطباع الخاصة.

وهكذا نرى أنه يعبر عن كل ما يخالج ضميره وما رآه بعينه من خرق للقيم والعادات التي يقدرها المجتمع ولا يجوز ان يتجاوزها، فهو يسرد لنا جملة من المفارقات الاجتماعية، فهي دعوة للتحلي بالقيم المعرفية الاجتماعية النبيلة، إذ إن الانسان يحتاج الاهل والاقرباء ومن ألف جوارهم؛ لأنه بفطرته خلق ليتعارف مع الآخرين .

ويؤكد الأعشى ترسيخ هذه القيم بقوله (قيس، د.ت، 19):

وَمَا إن عَلى جَارِهِ تَلفَةٌ يُسَاقِطُها كَسِقَاطِ اللَّجَنْ

لقد شبه الشاعر الحال مع الجار بقوله لا يسقط على جاره التلف كما تسقط العصا تدق بها أوراق (اللجن)، لنجد الشاعر هنا كيف استخدم شبه الجملة على جاره وكيف قدمها على الفعل المضارع وهنا نجده

كغيره وما كان يقصد بهذا التقديم الا لغرض التأكيد ولترسيخ هذه القيم. مهما اختلفت الطباع بينه وبينهم لتستمر الحياة، ان وجود الانسان يقترن بوجود اخيه الانسان إذ إن سر استمرارية الحياة مرهون بالتواصل والعطاء والتضحية على المستوى الاسري والمجتمعي (نيقولاي، د.ت، 95). فهو يحيا ويبقى ويصل إلى المرحلة الآنية الحقيقية عندما يكون خارج ذاته في المجتمع (بول، 1994، 99).

إذ إن التزام الشاعر الحقيقي الذي يدرك قيما انسانية واجتماعية هو تعبير عن موقفه بتغييرها إلى ما هو افضل ولا يتحقق ذلك الا من خلال مشاركته بتلك القيم مع القبيلة، لقد سادت في المجتمع الجاهلي جملة من المعارف والقيم الاجتماعية التي كانت تفرضها طبيعة الحياة على العربي فنجد ملامح الرفض للقيم الاجتماعية السلبية على لسان الشاعر من خلال الابيات الشعرية التي يشير من خلالها إلى ما هو رفيع وما هو هابط من تلك القيم والتقاليد، واذا ما رسم الشاعر بعض الملامح للمعارف والقيم النبيلة فأنه بالضرورة يشير أشارة ضمنية إلى ما يقابلها من عادات مرفوضه ينبغي ان يتنزه عنها الانسان. ونجد ذلك في ابيات قالها امرؤ القيس (إبراهيم، 2009، 132):

إنَّ بنى عَوْفٍ ابتَنوْا حَسَباً ضَيَّعهُ الدُّخلُلُون إذ غَدَروُا

أدَّوا إلى جارِهِمْ خُفَارتَه ولم يَضِعْ بالمَغِيبِ مَن نَصَروُا

لَمْ يفَعلوا فِعلَ آلِ حَنظْلةٍ إنَّهمُ جَيرِ بئسَ ما أئتمَروُا

إن امرأ القيس في هذه الأبيات يشير إلى حسن جوار بني عوف وعدم وجود ذلك في آل حنظلة إذ إن الشاعر يوضح حسن الجوار والأخلاق في بني عوف بخلاف آل حنظلة الذين سلموا عمه.

فالشاعر يؤكد على هذه المعرفة والقيمة التي التزم بها الجاهلي وتربى عليها فالالتزام بالوعد قيمة مقدسة عنده ولا مجال للغدر في حياته، فاذا ما أخل أحدهم بهذه القيمة، فإنه سيتعرض للذم والهجاء.

إذ إن الشاعر يفصح عن الخيانة في الابيات الشعرية للتأكيد على القيم المعرفية ومنها الوفاء بالعهد وحماية الجار، إذ يصرح بالغدر ونقض العهد ويقول: ابتنى هؤلاء حسبًا وشرفًا بإجارتي وحفظي،والجار كانت العرب تتحاماه فاستخدام الحرف الناسخ أنّ والذي يفيد التوكيد في بداية البيت الشعري، لتوكيد والحث على صفة حفظ العهد مع الجار في دلالة واضحة من خلال المعاني التي عبر عنها بالالفاظ التي استخدمها الشاعر.

فالصورة هنا صورة حسن الجار وهي صورة مجددة وليست بالية وكلما عرض لها البلى اتيح لها ان تتجدد فهي جزء من الميراث الجمعي.

كان لطبقات المجتمع الجاهلي وما فيها من علاقات اجتماعية دور فعال في تشـــكيل المعايير الفنية للنصـوص الشـعرية التي كان الشـعراء يبدعونها، إذ أن الشـاعر كان يبدع قصـيدته وفقا للمعايير الجمالية التي كان أبناء مجتمعه يميلون اليها، لتأكيد البعد الاجتماعي للمعارف والقيم الاجتماعية.

كما نجد في النص تكرار الحرف (لم) والتكرار يعكس فكرة الشـاعر ويعبّر ((بصـورة واضـحة عن رؤية الشـاعر وهو بعد هذا وذاك اداة تزيينيه)) (سـويلم، 2010، 67) نلاحظ من خلال التكرار في النص كيف نفى الشـاعر صـفة الغدر والخيانة وعدم الوفاء باسـتخدام الحرف (لم) والتأكيد على نفي هذه الصـفة من خلال تكرار هذا الحرف وقوله(أدوا إلى جارهم خفارته) أي لم يغدروا به، وقوله (لم يفعلوا فعل آل حنظلة). لاسـيما أنَّ التكرار يعمل على تماسك عناصر النص؛ في ضوء انفعالية اللغة الشعرية التي ((هي لغة انفعالية تتوجه الى القلب، وتعتمد بشـكل رئيسـي على اللغة الموسـيقية التي تفجر المواقف الانفعالية التي يمكنها هي الاخرى أن تثير انفعالات واحساسات لا تحصـى)) (البستاني، 1986، 49) أي لم يغدروا بي ولم يسلموني كما فعلت بنو حنظلة بشرحبيل عمه إذ سلمته فقتله أبو حنش التغلبي.

فهو هنا ينتقد عيوب غيره بنقض العهد والحرص على تبني قضـــايا مجتمعه وداعيا لها، في حفظ العهد، وانتقاده لعيوب الآخرين في نقضهم للعهود، هذه الابيات تكشف عن نظرة الشاعر العميقة للمجتمع وتعبر عن عدم الرضـى والافصـاح عما في داخله لما يسود المجتمع من القيم السلبية، فهي ثمرة التجارب والوقائع التي عاشـــها، إذ إن المعرفة ترتبط بالبيئة الثقافية من كل الجوانب، فهي غير مشـــروطة او هي تســـعى إلى تحويل المجتمع إلى افضل حالة. يطرح الشاعر قضـايا الواقع المعاش وما يخالج افكاره من مشاكل الحياة وما يصـادفه فيها من تغيرات، فيلجأ إلى الشـــعر تعبيرا عنها، فهو يتأســـف على بعض الامور المتعلقة بالقيم والمعارف الاجتماعية، وينتقد القيم السلبية في ذلك العصر.

ثانياً: إغاثة الملهوف

الملهوف كما نفهمه هو إنسان حلّت به مصيبة مفاجئة، أو خطر عظيم من صنع إنسان غيره فيكون مظلومًا، أو بليّة غير متوقعة من أقدار الله في الحياة فيكون مضـــطرا، وهو في الحالين يرجو وينتظر أن يجد لنفسه عونا ورحمة من الناس.

تعد إغاثة الملهوف ونجدته من أهم الأخلاق العربية التي فخر بها الشاعر الجاهلي لنفسه، أو مدح بها غيره، أو رثى بها ميتا. ويظهر من أهمية الوصف بها في الشعر أن حياتهم كانت عرضة للمصائب؛ فقد كانت حياتهم وأموالهم هدفا لوحوش الفلوات، وهدفا للسيول المفاجئة و عوارض الطبيعية التي –في برهة أو ساعة من الوقت –كانت تدمر الحياة و أســـباب العيش تدميرا، مما جعل تلك القيم ضـــرورة وحاجة في الحياة (زكي، 1980، 59).

إن طبيعة البيئة في ذلك العصـر بصـفاتها، فضـلا عن الفقر والحرمان انعكس ايجابيا على الانسـان العربي، فشخصية العربي على الرغم من قوتها وصعوبتها فهي شخصية عاطفية وحساسة، فهو يحرص كثيرا على اغاثة الملهوف ومساعدته وتلبية النداء وقد تصل المساعدة والاغاثة إلى حدّ التضحية بالنفس، وقد يغيث العربي حتى عدوه وطبيعي أن يدفعهم هذا الخُلق إلى أن يكونوا منصفين حتى مع خصومهم؛ لأن الفطرة العربية الســـليمة تملي على صـــاحبها ذلك، على الرغم من كل الاعتبارات التي كانت تحيط بالمجتمع العربي آنذاك، وعلى الرغم من كل القيم المتعارف عليها في خضم ذلك الوسط القبلي المتزمت (حمودي، 1974، 14).

إن تناول الشعراء لهذا الخلق السامي متصل بحديثهم عن خلق الشجاعة أو الكرم، فخرا ومدحا. ومما هو متصل بالشجاعة قول زهير مادحا سنان بن الحارث (قباوة، 1980، 34):

إذا فَزِعُـــوا طـــارُوا إِلـــى مُســـتَغيثِهم طِـوالَ الـرِمّـاحِ لا ضِـــعـافٌ ولا عُـزلُ

وقد حرص الشـــعراء في العصـــر الجاهلي على أن لا تخرج معانيهم على نطاق الموصـــوف المحسوس كما حرصوا في مدائحهم على أن لا تخرج على المحمدة التي دعت الشاعر إلى المدح، وكان الشعر آنذاك حافلا بأنواع الخيال الذي بدوره لا يخرج عن البيئة الجاهلية، إذ ينتزع خياله وتشـبيهاته من عالمه المادي فقد شـبه المرأة في أشـعاره بالشـمس، والدرة، والسـيف، والرمح، والظبية، والقطاة... كما شـبه الرجل بالغيث، و البحر، الأسد، و الذئب الخ...، وعلى هذه الشاكلة من الحسية في التشبيه نجد الشعر الجاهلي، فالشاعر يستقي أخيلته من العالم الحسـي المترامي حوله و هذا جعلهم يدققون في وصـف الأشـياء وكأن الشـاعر نحاتا يصـنع تمثالا يسـتوفي جميع ما يصـفه بجميع أجزائه و تفاصـيله الدقيقة (طنوس، د.ت، 60–63؛ ضـيف، 2003، 220–228).

يوضح الشاعر هنا أنهم إذا استغاث بهم أحد فزعوا وصرخوا لإغاثته وهذا ما يجعل المتلقي يرى جمال صفات وأخلاق القوم في نجدتهم لمن يستنجد بهم،لذا وجدنا شاعرنا قد ابدع في مدحه باغاثة المستغيث بهم، بتلبية نداء الاستغاثة، فقد وصفهم بالقوة والشدة والبأس وطول الرمح كناية عن ذلك اي أنهم عندما يُستغاث بهم يفزعوا ويطيروا إليه وهذا يدل على سرعة تجاوبهم لمن يستغيث بهم ومع سرعة استجابتهم يكونوا مجهزين لذلك بالقوة وإن إغاثة الملهوف في ذلك الإطار تضمن له الذكر الحسن وهو ما يأمله الشاعر فهو حريص على الالتزام بالقيم والمعارف الاجتماعية التي أكد عليها المجتمع الجاهلي أيا كانت الظروف فهو لا يتأخر عن اغاثة الملهوف، وقد اسهم البعد الاجتماعي في تشكيل الذات الشاعرة فجاءت النصوص الشعرية متوافقة مع المنطلقات والمعارف الاجتماعية السائدة ومن هنا يمكن أن يتخيل الدور الاخلاقي والاجتماعي الذي يضطلع به الشاعر والمكانة المرموقة التي يحتلها غي نفوس افراد المجتمع الجاهلي، فقد وصل الشعر الى حدّ الرفع من قدرهم واعلاء شأنهم.

وأن الصور الشعرية التي نجدها في هذه الابيات هي صورة اغاثة الملهوف التي جاءت مطابقة للموروث؛ لأنهم استشعروا معنى الاغاثة من خلال توحيد فكرهم لقدسية هذه الظاهرة. فالشاعر يسعى لديمومة التواصل مع المجتمع من خلال إقناع البنية المجتمعية بأهمية المعارف والقيم الاجتماعية ودورها الفعال في تقوية الكيان الاجتماعي (اليوسف، 1980، 220).

أن الانسان لا يستخدم عقله لإثبات وجود الاشياء، وأنما هذه الاشياء موجودة في العالم الخارجي معه والوسيلة في المعرفة هي الاحساس، والتلقي الفكري لوجود هذه الاشياء يجعلنا ندرك وجود أشياء في العالم الخارجي مما يولد فينا فكرة معية أن هذه الفكرة تمثل موقف الانسان من هذا الشيء الموجود (زكريا، د.ت، 142)، أن القارئ يجد تشبيه الشاعر للعربي في اغاثته لغيره بالرمح في سرعته تلبية للنداء، إذ كانت اغاثة الملهوف من القيم الاجتماعية التي يسعى من خلالها العربي الى تقديم المساعدة والتعبير عن كرم وشجاعة العربي في العصر الجاهلي، كما أنه يلبي النداء حتى في اوقات الحروب للدفاع عن القبيلة، إن اغاثة الملهوف كانت احدى القيم التي رافقت العربي وارتبطت به، وميزت العربي والمجتمع الجاهلي، إذ إن القيم التي يدين بها أي مجتمع إنما هي تعبير عن حياة ذلك المجتمع (إبراهيم، د.ت، 161). وهذه الحسية فيهم جعلتهم لا يتوسعون بمعانيهم بل جعلتهم يدورون حول معان تكاد تكون واحدة فمثلا ما يقوله طرفة (الزركلي، 2002، 11) في الناقة يقوله غيره فيها. وما يقوله امرؤ القيس في بكاء الديار يقوله غيره من الشعراء، فهم يتداولون معانٍ واحدة و تشبيهات واحدة ومن ثم يبدو في أشعارهم نزعة واضحة للمحاكاة والتقليد، إلا أننا نجد براعة نادرة في إعادة صياغتها من جديد، فكل شاعر يحاول أن يعطيها شيئا من شخصيته. وهذا نابع من بساطة التفكير فـ((المعاني التي جاءت في الشعر الجاهلي، يستطيع القارئ أو السامع أن يدركها، وأن يحيط بها لأول وهلة بمجرد أن يعرف قصد الشاعر، ولا يحتاج في ذلك إلى إعمال العقل.

وكد الذهن، وما في هذه المعاني من جمال يبدو واضحًا لأن أصحابها كانوا يعيشون على الفطرة، في بساطة ووضوح)) (الجندي، 1991، 449)، فالنص الشعري جاء استجابة لأهداف وغايات الشاعر التي يسعى لتحقيقها من أجل توطيد عرى التواصل بينه وبين البيئة الاجتماعية، فالفخر بالقيم والمعارف الاجتماعية وسيلة الشاعر من أجل اشعار المجتمع بأهميتها.

لقد اصبحت هذه القيم والمعارف واجبا اخلاقيا يفرضه الشعور بالآخر المحتاج، والتعاطف مع آلامه ومعاناته، وضرورة حياتية تفرضها ضرورة الحفاظ على سيرورة الحياة، ومقاومة أسباب الهلاك، يقول زهير بن ابي سلمى (قباوة، 1980، 118):

حَـــدِبٌ علـــى المَـــولَى الضَّـــرِيكِ إذا نـــابَـــتْ عـلـــيَـــهِ نَـوائـــبُ الـــدَّهْـــرِ

ومُرَهـــــقُ النِيـــــرانِ يُحمـــــدُ فـــــي ال لأْواءِ غَـــيـــرُ مَـــلـــعَّـــنِ الـــقِـــدرِ

يوضح الشاعر زهير بن أبي سلمى في الأبيات إغاثته الملهوف وكثرة إطعامه للفقراء والضيوف، وفي قوله **(حدب على المولى الضـــريك)** تعبير جزيل بأوصـــاف بعيدة تجعل القارئ والمتلقي يتوقف عند البيت، ويوضح أن حدبه وعطفه على من أصابه ضرر أو فاقة أو حاجة، وقوله نابت عليه نوائب الدهر، فيه إشارة إلى مراعاته من يكون في حاجة أو فاقة أو تبدلت ايامهم وأصبحت في حالة شدة.

يقول إذا ناب الدهر مولاه بنائبة اعانه على دفعها ولم يخذله و وصفه بصلة الرحم وتحمل أمر العشيرة، ولعل هذه من أوضح الصفات الخلقية التي كان العربي يصر على المباهاة والفخر بها وتبرز أهمية الفخر عند الشعراء العرب؛ لأنهم ((اتخذوه متنفسًا لهم في تعداد فضائلهم والإبانة عما تميزوا به من رفعة .ولقد كان بعضهم يشيد ببطشه وبسالته، أو بتفوقه في نظم الشعر، أو بآبائه وأجداده وما سطروا من أمجاد في ميادين الفروسية أو الكرم، أو يتغنى بقبيلته والأيام التي انتصرت فيها وحفاوتها بالضيف ودفاعها عن المستجير بها، وقتالها في الدفاع عن حياضـها وفي رفع الظلم اللاحق بها)) (عبدالنور، 1984، 449)،وفي قوله ومرهق النيران، اي انه يوقد النار بالليل ليعشو اليها الضيف الغريب ويوقدها ايضًا لإطعام الناس وليخبر بسعة معروفه، وقوله غير معلن القدر أي لا يؤكل ما فيها دون الضيف والجار واليتيم والمسكين فهو محمود القدر لا مذمومها، وأوقع الفعل على القدر مجازًا وهو يريد صاحبها. فنجد الشاعر العربي قد أحتفى بهده الخصلة التي تميزه عن غيره فهو يسعى جاهدًا إلى إغاثة الجار والصغير والكبير وابن العم والقبيلة وقد اتضح ذلك من خلال ما عكسته أشعار شعراء الطبقة الأولى، كقول زهير (قباوة، 1980، 35):

بِخَيـــلٍ، عليهـــا جِنـــةٌ، عَبقريَّـــةٌ جَـدِيرونَ يومًـا أن ينَـالوا، فيســتعْلوا

وإن يُقتَلُـــوا فيُشـــتفى بـــدِمائهم وكـانُوا، قَـدِيمًـا، مِن منَـايـاهُمُ القَتـلُ

استفتح الشاعر هذه الابيات بسمة خطابية، إذ إنه استفتح شعره بالخيل وهذه الافتتاحية المشهدية ترسم لنا صيغة نصية تعبر عن موروث اجتماعي. وقوله:{ يشتفى بدمائهم } أي إذا قتلوا رضي القاتلُ بهم، وشفى نفسه بدمائهم، ورأى أنه قد أدرك ثأره بهم.

إن زهير بن أبي سلمى كان يعمد دائما إلى الصور غير المتوقعة في وصف الأخلاق والصفات الحميدة، فإن تلك الصور التي رسمها تتحدث عن الخيل، وإنما يعني بها القوم الذيت يتعالون على الأعداء ليس بالخيل ولا بأنهم مثل الجن وإنما بأخلاقهم ومكانتهم وأغاثتهم لمن يستغيث بهم ويستجير بهم.

وأسبغ الشعراء على الخيل صفات الصلابة والقوة، كما أنها تمثل للعربي الصاحب الأمين في حلّه وترحاله، إذ إن فيها من صفات وخصال الشرف ما لا يوجد في غيرها، فهي وسيلته في الحرب والسلم، والعون في الصيد والطرد والسفر (مصطفى، 1981، 148). يقول: هؤلاء يسرعون إلى نصرة المظلوم بخيل عليها رجالٌ مثل الجن في الخبث، والدهاء، والنفوذ فيما حاولوا. أن أعتزاز الشاعر بالخيل نابع من كونه معادلا رمزيا لروح الشاعر ينال من خلالها على كل ما يطمح له من المجد وحماية قومه، لذلك أصبح الشاعر والفرس((يشكلان شيئاً واحداً و هذا الشيء أصبح عنصرا فروسيا قويا ظاهرا في شعر الجاهلي وتطور إلى أن أصبح عنصراً بطولياً يقيم الفارس البطل الذي هو في نفس الوقت ممتزج بفرسه)) (عبدالجليل، 2001، 417)، لذلك صور لنا الشاعر النجاة والقدرة على تحقيق رغباته في صورة الخيل التي يبتدعها فسرعة إغاثة الملهوف معرفة وقيمة اجتماعية في الثقافة الجاهلية، فالذات ليس بوسعها التنصل من الالتزام، وتعدها قيمة ومعرفة اجتماعية تعلي من شأنها وتحقق لها المكانة الاجتماعية المنشودة وسط القبيلة والمجتمع.

وقول الأعشى (قيس، د.ت، 19):

فأن يَتبعوُا أمرَةٌ يَرشدُوُا وإن يَسألوا مَالَهُ لا يَضِن

وإن يُستضافُوا إلى حُكمِهِ يُضافُوا إلى هَادِنٍ قَدْ رَزَنْ

وَمَا إن عَلى قَلبِه غَمرَةٌ ومَا إن بِعَظمٍ لَهُ مِن وَهَنْ

إن الأعشى هنا يعمد إلى الاستقبال بالحديث بالأفعال المضارعة كما أن الأبيات تشتمل على إيقاع موسيقي يجعل المتلقي يرسم صورة من الاخلاق الحميدة عن القوم مرتبة في أبيات متعددة، والدمج بين الإيقاع والأفعال المضارعة(يرشدوا / يسألوا/ يستضافوا/ يضافوا) له وقع في السمع، فضلاً عن أن تأليف الأصوات والحروف والحركات لها دوراً مهماً في إثارة الانفعال المناسب، فالإيقاع الداخلي للألفاظ والجو الموسيقي الذي سيحدثه عند النطق بها يعد من أهم المنبهات المثيرة والانفعالات الخاصة المناسبة ويترك إيحاء خاصا في ذهن المتلقي (عبدالحميد، 1984، 41) إذ يجعل المتلقي يرى تلك الأخلاق باقية فيهم ومستمرة وخاصة إغاثتهم الملهوف وحمايتهم لأهلهم ومن يستجير بهم.

نجد في النص افصاح الشاعر عن صفات وقيم المروءة والشجاعة للعربي بقوله: أن تبعته بلغت الرشاد، وإن سألته أجاب النداء، وإن لجأت إلى حكمه فقد لجأت إلى جبل ثابت البناء، صلب لا يرضخ تحت الشدائد ولا تثقل عليه، ماضي العزيمة ليس وهن. ونجد هنا لتكرار الحرف الناسخ إن دلالة تدل على التوكيد على فعل ما ومعان تحتاج إلى الاشباع وهذا لا يقتصر على انه زينة لفظية بل يؤكد الشاعر هنا على توكيد الفعل المضارع الذي اكثر من استخدامه ليدل به على ضرورة الاستقبال مع حرف السين الذي أثر في جميع الحروف المؤكدة والافعال المضارعة مما اضفى على هذه الابيات حالة شعورية أدت إلى تأصيل وتوكيد معنى خاص أراد به الشاعر التأكيد على اعانة الملهوف؛ لاسيما أنَّه كرر صورة الفعل مرتين باختلاف دلالة الفعل (يستضافوا / يضيفوا) إذ اسهم في بناء الايقاع داخل النص الشعري وأدى تعميق دلالة المعنى، فضلاً عن تثبيت دلالتها في ذهن المتلقي (عبدالواحد، 1991، 205)، فالشاعر هنا يفتخر بالقيم العربية التي يدافع عنها ويلتزم بها، فهو يسعى إلى المجد الاصيل المحمود الذكر، وها هو ذا يلتزم بها ويأخذ للمظلوم حقه من المعتدي الظالم، حفاظا على هذا المجد الذي ورثه من الاباء والاجداد، فهو حريص على انه لا يغفل عن حماية قومه اذا ما ذعروا او اعتدى عليهم معتد.

كما قال امرؤ القيس (إبراهيم، 2009، 90):

فيا رُبَّ مَكروبٍ كَرَبتُ وراءَه وعانٍ فكَكتُ الغُلَّ عنه فَفداني

يوضح امرؤ القيس إغاثته للملهوف والمكروب الذي حاوطه الاعداء والتفوا حوله، واستخدام لفظ (كررت وراءه) للدلالة على إغاثته وتتبعه حتى خلصه من الأعداء مع أن الحقيقة أن الشاعر عاد ليخلصه من كربه واستخدم الكلام الدال على الذهاب والتتبع خلفه بدلًا من العودة إليه للدلالة على أن تخليصه كان غاية وهدفاً له، ليفصح للمتلقي عن اخلاق العرب في إغاثة الملهوف ومساعدتهم وتخليصهم من الشدة، وقوله (ففداني) دليلٌ على تأصل ذلك المبدأ والخلق في المجتمع العربي حتى إن ذلك الشخص قال له فديتك نفسي والاختصار في التعبير في ذلك يجعل المتلقي يدرك أن الشاعر لا يحتاج إلى ذلك وإن ما دفعه إلى إليه هو الالتزام باخلاق العروبة ومبادئ المجتمع العربي.

إن القراءة ضرب من ضروب الحوار المنتج والفعال بين النص وقارئه اي القراءة الخلاقة التي تسفر عن إمكانات دلالية لم تتحقق في النص من قبل اي أن القارئ هنا أشبه ما تكون قراءته بقراءة الفلاسفة للوجود. إن الشاعر كما عهده القارئ فهو مبدع ومتلقٍ لنص الشعري،يسمع ويعجب بصفات وقيم العربي في اغاثة الملهوف، والقتال عنه بقوله: كررت وراءه أي رجعت إليه وقد أحاط به العدو، وقاتلت عنه وانقذته و فككت الغل عنه. يصف الشاعر في هذا البيت الشجاعة في اغاثة الملهوف.

يظهر من خلال هذا العرض ان فعل التلقي في هذه الابيات يدور حول عملية الفهم العميق للنص في الاســـاس وان هذا الفعل يتطلب وجود متلق من نوع خاص وقدرة فائقة واندماج تام في الاعمال، وقد جعلت المجتمعات الجاهلية اغاثة الملهوف وسيلة ورمزاً مهماً من رموز الذاكرة الجمعية التي تدل على التلقي الابداعي.

ثالثاً: الوفاء بالعهد

في العالم المتحضــر يلتزم الناس بالوفاء ما يتعارفون عليه من عهود وصــكوك ووثائق مدونة وشــهود وعقود مسجلة...الخ، ولكن البيئة البدوية كانت خلواً من هذه الضمانات المسجلة والوثائق المدونة فكانت الكلمة ينطقها الرجل عهداً يجب عليه أن يفي به والا عرض شرفه للتجريح. لذلك فقد كان الوفاء من الصفات الانسانية التي تحلى بها العربي الاصــيل ولم تخل قصــائدهم من الاشــادة بالوفاء بالعهود فهي من الصــفات التي تربى عليها العربي، الوفاء اذاً من اخلاق العرب، وقد ورد عنهم أنهم كانوا يتعاقدون في المُحالفات على الدم والرب والماء والطيب ويتمسـحون بالكعبة، يريدون توكيد الحلف ومصـاحبته بعمل مادي يذكر بالوفاء وكان الغدر معرة يتجافونها، كان الوفاء قيمة من قيم الحياة والخلود والبقاء اي من القيم والعادات المقدسة لدى الجاهليين منذ اقدم عهودهم (علي، 1968، 323) وأذا ما غدر احدهم رفع له لواء بسـوق عكاظ ليشـهروا به، ومن القصــائد التي نظمها النابغة أن زرعة بن عمرو بن خويلد لقيه بعكاظ فأشــار عليه أن يشــير على قومه بأكل بني أســد وترك حلفهم فأبى النابغة الغدر وبلغهُ أن زرعة يتوعده، فقال يهجوه (محمد، 2009، 54):

نُبِّئتُ زُرعَةَ والسَّفاهَةُ كاسْمِها يُهدِي إلىَّ غَرائِبَ الأَشعارِ

فحَلَفتُ يا زُرعَ بن عَمرو إنَّنِي ممّا يَشقُّ على العَدُو ضِرارى

أرأيت يومَ عُكاظَ حين لَقِيتَنِي تحت العَجاجِ فما شَقَقْتَ غُبارِي

يعلن الشاعر في هذه الأبيات عن شجاعته عندما توعد زرعة بن عمرو الذي طلب منه أن يترك حلف بني اسد وهذا ما اعتبره شاعرنا غدرًا، وتجدر الاشارة إلى أن الحياة الجاهلية تتسم بالصدق والوفاء، وقد تبين لنا ذلك من خلال معاينة تجربته ومدى صدقه، فعبر شعره عن ذلك اصدق تعبير. وهذا يعكس واقع المجتمع الجاهلي، فهذه الصورة استمدت من واقع البيئة العربية التي يعرفها ؛ولذلك كانت صادقة في ايحائها، فنجد شاعرنا هنا يأبى الغدر فهو هنا يؤكد على نخوة العربي وهو البعد عن صفة الغدر، وكان من الطبيعي أن يتحسر من هذا الغدر فهو لا يمثل القيم العربية الاصيلة في ذلك العصر، ومن ثم فهو لا يملك الا التأسف على تلك الخصال وطلب الابتعاد عنها والتمسك بالقيم والمعارف الاجتماعية والعادات الحسنة الايجابية، ويرتبط الوفاء بالوعد عادة بالصدق مع النفس ومع الغير وهي من شيم الكرام الاحرار، كقول زهير (قباوة، 1980، 99):

أو صالَحُوا فلَهُ أمنٌ، ومُنتفَدٌ وعَقْدَ أهلِ وفَاءٍ، غَيرُ مَخذُولِ

وصـف الشـاعر الوفاء باعتباره رمزا من رموز الحياة وقيمة من القيم التي تخلد الذات، يعد زهير من الشـعراء الحكماء فقد ذاع صـيته في الحكمة التي تحتوي على الآراء الاخلاقية والاجتماعية للمجتمع العربي. إذ إن للمعرفة نتائج تتطابق مع القيم الاجتماعية فالأدب يعمل عمل المعرفة ذاتها، فالنص يعبر عن قضـــايا الانسان الجوهرية، إن ذات الشاعر تقدم المعرفة حسب رؤيتها بشكل واضح، إذ إن الطابع المطلق الذي تعترف به هو موجود لا يتعلق بكينونة الشـيء وإنما الطريقة التي تتعامل بها (فوكو، 1990، 67). وهو يشـير في هذه الابيات إلى الوفاء وهو من أهم القيم الاجتماعية عند العرب فهم لم يكونوا يخونون وعودهم مع احد، علما أنه هنا يمدح الحارث.

ويقول النابغة (محمد، 2009، 39):

أَبـــــى اللهُ إلا عَدْلَـــــه ووفـــــاءَه فلا النُّكرُ معروفٌ ولا العُرفُ ضـــائعُ

وتُســقى إذا مــا شــئتَ غَيْــرَ مصــرَّدٍ بِزَوراءَ في حــافــاتِهــا المِسْـــكُ كــانِعُ

يشــير الشــاعر إلى الوفاء والعدل عند الملك من جهة وتذكير بالمعروف والعمل الصــالح من جهة اخرى، ويصــف الملك بالوفاء والعدل المقترن والمســند إلى الادلة فهو يصــفه بالوفاء وطيب الاصــل والعمل بالمعروف على اعتبار أنها من القيم التي يؤكدها الشعور الجمعي من خلال المعاني التي كان يؤديها الاحساس المطلق بأنها من القيم الاجتماعية التي تنطلق من خلجات النفس العميقة. وقوله {أبى الله إلا عدله ووفاءه}، يحتمل أن تكون الهاء من قوله: {عدله ووفاءه} عائدة على لفظ الجلالة (الله)، أي أبي الله إلا أن يعدل بين عباده، وبقى لهم بما وعدهم به، [من الخير و الشر وهما] الثواب والعقاب. وظف الشاعر هذه الابيات من مبدأ اذا وعد الانسان فعليه الوفاء بوعده؛ لأنه من شمائل العرب القدماء ومن اقوالهم ((خلاف الوعد من أخلاق الوغد وكانت العرب تستعيبه وتستقبحه)) (علي، 1968، 821).

ومن خلال ارتياد دائرة النص نجد فيها صياغة فروض شعرية نابعة من فضاء الشاعر ومنعكسة على المتلقي كما نجد الوفاء في موضع اخر كقول الأعشى (قيس، د.ت، 9):

وَوَفـــاءٌ إذَا أجَـــرْتَ فَمَـــا غُـــرَّ ثْ حِـبَـالٌ وصَـــلـــثْـهَـا بِـحِـبـالِ

وقد أشاد الأعشى في النص بوفاء شريح بن حصن بن السمؤال، وهو صاحب الأبلق الذي ضرب به المثل في الوفاء، فقد كان امرؤ القيس أودع عنده سلاحه إلى أن يعود من رحلته إلى قيصر.. فجاء الحارث بن ظالم يطلبها من شريح فرفض وفاء منه وحفاظا على الأمانة، ويقال إنه تحصن وكان له ابن خرج للصيد فلقيه الحارث فأخذه رهينة علَّ أباه يسلم دروع امرئ القيس، وخيره بين أن يسلمه ما يريد، أو يذبح ابنه فاختار شريح الوفـــاء لمـــن ائتمنه غير مبال بقتل ولده، والاعشى يشيد بهذه القصة، وموقف شريح الوفي فيها بقوله (قيس، د.ت، 179):

إذ سَـــامهُ خُطَّتَـــى خَســـفٍ فَقَـــالَ لَـــهُ مَـهمَـا تَقُلـــهُ فـأنـيّ سَـــــامِعٌ حَـارِ

فَقَـــالَ تُكـــلٌ وَغَـــدرٌ أنـــتَ بَينهُمَـــا فَـأختَر وَمَـا فِيـهمَـا حَظٌ لِمُختَـارِ

فقد كان للقصـة أصـول في نفسـية الشـاعر العربي الوفي الذي كان منه ان دفع ابنه للموت حتى يدفع لصاحبه الشاعر حقه من الوفاء بالعهود، فهو كان حريصًا على الوفاء وقد أشاد شاعرنا بهذه الخصلة فالشاعر الجاهلي له جملةٌ من الاخلاق يحافظ عليها والتي تمثل الابعاد المعرفية الاجتماعية لذلك العصـر، ومنها الوفاء بالعهود فهو يأبى على نفســه ان ينقض العهد فقد كان على اســتعداد ان يخســر الغالي والنفيس من اجل ان يحافظ على العهود والمواثيق التي تربى ونشأ على الحفاظ عليها.

الخاتمة

برزت وظهرت الابعاد المعرفية الاجتماعية الإيجابية في شـعر شـعراء الطبقة الأولى لابن سـلام، وتعد النماذج التي اوردناها في هذا البحث دليلا على العادات والقيم الاجتماعية التي تمثل الابعاد المعرفية الاخلاقية التي كانت سائدة في العصر الجاهلي وكيف تعامل هؤلاء الشعراء معها.فالشاعر العربي والذي كان لابد لنا في هذا البحث من الحديث عما يختلج في نفسه من معارف اجتماعية إيجابية قد مرّ بها خلال السنين التي عاصر فيها جميع المناحي الاجتماعية التي عززت وغُرسـت فيه منذ الصــغر لا تبعده كثيرًا عن المجد والرفعة والجود والشجاعة التي تغنى بها الشاعر والتي تمثل الكثير من السمات الاجتماعية الحميدة.

قائمة المصادر :

- إبراهيم، زكريا. (د.ت). مشكلة الانسان. دار مصر للطباعة. القاهرة. مصر.
- إبراهيم، محمد. (2009). ديوان امرؤ القيس. ط5. دار المعارف. القاهرة. مصر.
- ابن منظور. (1414هـ). لسان العرب. ط3. دار صادر. بيروت. لبنان.
- بدوي، عبدالرحمن. (1984). موسوعة الفلسفة. المؤسسة العربية للدراسات والنشر. بيروت. لبنان.
- برديابيف، نيقولاي. (د.ت). العزلة والمجتمع. الهيئة المصرية العامة.مصر.
- البستاني، صبحي. (1986). الصورة الشعرية في الكتابة الفنية الاصول والفروع. ط1. دار الفكر اللبناني. بيروت. لبنان.
- بول، جان. (1994). الوجودية مذهب انساني. ط1.
- الجرجاني، عبدالقادر. (د.ت). دلائل الاعجاز. مطبعة احمد مصطفى. مصر.
- الجندي، علي. (1991). تاريخ الادب الجاهلي. مكتبة دار التراث.
- حمودي، نوري. (1974). دراسات في الشعر الجاهلي. دار الفكر.دمشق. سوريا.
- حيدر، احمد. (1994). نحو حضارة جديدة. مطبعة الانشاء.
- روسو، جان. (1967). اصول التربية المثالية في اميل. ط1. دار الكتب العربي للطباعة والنشر. القاهرة. مصر.
- الزركلي، خيرالدين. (2002). الاعلام. ط10. دار العلم للملايين. بيروت. لبنان.
- زكريا، فؤاد. (د.ت). نظرية المعرفة. دار مصر للطباعة. مصر.
- زكي، محمد. (1980). دراسة للقصيدة العربية في الجاهلية. دار النهضة للطباعة والنشر.
- سويلم، مختار. (2010). التكرار اللفظي في شعر النقائض (جرير والفرزدق انموذجا دراسة اسلوبية). رسالة ماجستير. جامعة قاصدي مرباح ورقلة. كلية الاداب واللغات.
- ضيف، شوقي. (2003). تاريخ الأدب العربي (العصر الجاهلي). ط24. دار المعارف. القاهرة. مصر.
- طنوس، وهيب. (د.ت). نظام التصوير الفني في الأدب العربي. منشورات جامعة حلب. سوريا.
- عبدالجليل، حسني. (2001). الادب الجاهلي قضايا وفنون ونصوص. ط1. مؤسسة المختار للنشر والتوزيع. القاهرة. مصر.
- عبدالحميد، مجيد. (1984). الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية. ط1. المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع. بيروت. لبنان.
- عبدالنور، جبور. (1984). المعجم الادبي. ط2. دار العلم للملايين. بيروت. لبنان.
- عبدالواحد، عهود. (1991). الصورة الشعرية عند ذي الرمة. رسالة ماجستير. جامعة بغداد، كلية

الاداب.

- ❖ علي، جواد. (1968). المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام. دار العلم للملايين. بيروت. لبنان.
- ❖ فوكو، ميشيل. (1990). الكلمات والاشياء. ط1. مركز الانماء القومي. بيروت. لبنان.
- ❖ قباوة، فخر الدين. (1980). شعر زهير بن أبي سلمى صنعة الأعلم الشنتمري. ط3. دار الافاق الجديدة. بيروت. لبنان.
- ❖ القيرواني، ابي علي. (1988).العمدة في محاسن الشعر وآدابه. ط1. دار المعرفة. بيروت. لبنان.
- ❖ قيس، ميمون. (د.ت). ديوان الاعشى الكبير. مكتبة الآداب المطبعة النموذجية. القاهرة. مصر.
- مجموعة مؤلفين. (2006). معجم المصطلحات الاخلاقية. ط1. مركز باء للدراسات بيت الكاتب.
- ❖ محمد، إبراهيم. (2009). ديوان النابغة الذبياني. ط2. دار المعارف. القاهرة. مصر.
- ❖ محمود، نافع. (1990). "لغة الشعر عند الالبيري". مجلة كلية الآداب. ع56.
- ❖ مرتضى، محمد. (د.ت). تاج العروس من جواهر القاموس. التراث العربي. القاهرة. مصر.
- ❖ مصـــطفى، عباس. (1981). الصـــيد والطرد في الشـــعر العربي حتى نهاية القرن الثاني الهجري. ط1. المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع. لبنان.
- ❖ مصـطفى، علي. (2005). الانتماء القبلي في الشـعر الجاهلي.(بين العصـبية و الوعي العصـبي). مكتبة الشرق. القاهرة.
- ❖ معجم المعاني الجامع.almaany.com.
- ❖ مكي، صادق. (1991). ملامح الفكر الديني في الشعر الجاهلي. ط1. دار الفكر اللبناني. بيروت. لبنان.
- ❖ اليوسف، يوسف. (1980). مقالات في الشعر الجاهلي. ط2. دار الحقائق. الجزائر.

Bibliography of Arabic References (Translated to English)

- Ibrahim, Zakaria. (n.d.). The Problem of Man. Dar Misr for Printing. Cairo. Egypt.
- Ibrahim, Muhammad. (2009). Diwan Imru' al-Qais. 5th ed. Dar al-Maaref. Cairo. Egypt.
- Ibn Manzur. (1414 AH). Lisan al-Arab. 3rd ed. Dar Sadir. Beirut. Lebanon.
- Badawi, Abdul Rahman. (1984). Encyclopedia of Philosophy. Arab Foundation for Studies and Publishing. Beirut. Lebanon.
- Berdyaev, Nikolai. (n.d.). Isolation and Society. Egyptian General Authority. Egypt.
- Al-Bustani, Sobhi. (1986). The Poetic Image in Artistic Writing: Origins and Branches. 1st ed. Dar al-Fikr al-Lubnani. Beirut. Lebanon.
- Paul, Jean. (1994). Existentialism is a Humanistic Doctrine. 1st ed.
- Al-Jurjani, Abdul Qadir. (n.d.). Evidence of Miracles. Ahmed Mustafa Press. Egypt.
- Al-Jundi, Ali. (1991). History of Pre-Islamic Literature. Dar Al Turath Library.
- Hamoudi, Nouri. (1974). Studies in Pre-Islamic Poetry. Dar Al Fikr. Damascus. Syria.
- Haidar, Ahmed. (1994). Towards a New Civilization. Al Insha Press.
- Rousseau, Jean. (1967). The Principles of Ideal Education in Emile. 1st ed. Dar Al Kotob Al Arabi for Printing and Publishing. Cairo, Egypt.
- Al Zarkali, Khair Al Din. (2002). Al A'lam. 10th ed. Dar Al Ilm Lil Malayeen. Beirut, Lebanon.
- Zakaria, Fouad. (n.d.). Theory of Knowledge. Dar Misr for Printing. Egypt.
- Zaki, Muhammad. (1980). A Study of the Arabic Poem in Pre-Islamic Times. Dar Al Nahda for Printing and Publishing.
- Suwailem, Mukhtar. (2010). Verbal Repetition in the Poetry of Contradictions (Jarir and Al Farazdaq as a Model, a Stylistic Study). Master's Thesis. University of Qasdi Merbah, Ouargla. Faculty of Arts and Languages.
- Daif, Shawqi. (2003). History of Arabic Literature (Pre-Islamic Era). 24th ed. Dar Al-Maaref. Cairo, Egypt.
- Tanous, Wahib. (n.d.). The System of Artistic Imaging in Arabic Literature. Aleppo University Publications. Syria.
- Abdul Jalil, Hosni. (2001). Pre-Islamic Literature: Issues, Arts and Texts. 1st ed. Al-Mukhtar Foundation for Publishing and Distribution. Cairo, Egypt.
- Abdul Hamid, Majeed. (1984). Psychological Foundations of Arabic Rhetoric

Methods. 1st ed. University Foundation for Studies, Publishing and Distribution. Beirut, Lebanon.

- Abdul Nour, Jabour. (1984). Literary Dictionary. 2nd ed. Dar Al-Ilm Lil-Malayin. Beirut, Lebanon.
- Abdul Wahid, Ahoud. (1991). The Poetic Image of Dhu Al-Rummah. Master's Thesis. University of Baghdad, College of Arts.
- Ali, Jawad. (1968). Al-Mufassal fi Tarikh Al-Arab Qabl Al-Islam. Dar Al-Ilm Lil-Malayin. Beirut, Lebanon.
- Foucault, Michel. (1990). Words and Things. 1st ed. National Development Center. Beirut. Lebanon.
- Qabawah, Fakhr al-Din. (1980). The Poetry of Zuhair ibn Abi Salma, the Craft of al-A'lam al-Shantamari. 3rd ed. Dar al-Afaq al-Jadida. Beirut. Lebanon.
- al-Qayrawani, Abi Ali. (1988). al-'Umdah fi Mahasin al-Shi'r wa al-Adabuh. 1st ed. Dar al-Ma'rifah. Beirut. Lebanon.
- Qais, Maimon. (n.d.). Diwan al-A'sha al-Kabir. Library of Literature, Model Press. Cairo, Egypt.
- Group of Authors. (2006). Dictionary of Ethical Terms. 1st ed. Center for Ba' Studies, House of the Writer.
- Muhammad, Ibrahim. (2009). Diwan al-Nabigha al-Dhubyani. 2nd ed. Dar al-Ma'arif. Cairo, Egypt.
- Mahmoud, Nafi' (1990). "The Language of Poetry in al-Ilbiri". Journal of the Faculty of Arts. Issue 56.
- Murtada, Muhammad. (D.T). The Bride's Crown from the Jewels of the Dictionary. Arab Heritage. Cairo. Egypt.
- Mustafa, Abbas. (1981). Hunting and Expulsion in Arabic Poetry until the End of the Second Century AH. 1st ed. University Foundation for Studies, Publishing and Distribution. Lebanon.
- Mustafa, Ali. (2005). Tribal Affiliation in Pre-Islamic Poetry. (Between Fanaticism and Fanatic Awareness). Library of the East. Cairo.
- Comprehensive Dictionary of Meanings. aImaany.com.
- Makki, Sadiq. (1991). Features of Religious Thought in Pre-Islamic Poetry. 1st ed. Dar Al Fikr Al Lubnani. Beirut. Lebanon.
- Al Youssef, Youssef. (1980). Articles on Pre-Islamic Poetry. 2nd ed. Dar Al Haqaiq. Algeria.